التذكرة

في

أحوال الموتى وأمور الآخرة

للإمام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر فرح القرطبي

« ت ٦٧١ هـ »

تحقيق وتعليق

يوسف علي بديوي

YRARDLU

الجزء الثاني

دار ابن كثير

دمشق - بيروت

حُقُوقُ الطَّبعِ وَالتَّصْوِيرِ مَحْفُوظَةٌ لِلنَّاشِر

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

HARVARD UNIVERSITY LIBRARY

دار ابن كثير
لِلطِّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيع

دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي
ص.ب: ٣١١ - تلفون: ٢٢٢٥٨٧٧ - ٢٢٤٣٥٠٢

بيروت - برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي
ص.ب: ١١٣/٦٣١٨ تلفون: ٨١٧٨٥٧ - ٢٠٤٤٥٩-٠٣

الجزء الثاني من «التذكرة» للعلاّمة القرطبي
- نفعنا الله به - آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

بـاب
ما يلقى الناس في الموقف
من الأهوال العظام والأمور الجسام

قال المحاسبي - رحمه الله - في كتاب «التوهّم والأهوال»: يَحْشُرُ الله الأممَ من الإنس والجن عُراةً أذلاّء، قد نُزِع المُلْكُ من ملوك الأرض، ولزمهم الصَّغار بعد عتوّهم، والذلّة بعد تجبّرهم على عباد الله في أرضه. ثم أقبلت الوحوشُ من أماكنها منكّسة رؤوسها بعد توحّشها من الخلائق وانفرادها ذليلة من هول يوم النُّشُور من غير ريبةٍ ولا خطيئةٍ أصابتها؛ حتى وقفت من وراء الخلق بالذّلّة والانكسار للملك الجبّار، وأقبلت الشياطينُ بعد تمرّدها وعتوّها خاضعةً ذليلةً للعرض على الملك الدَّيّان.

حتى إذا تكاملت عدّةُ أهل الأرض من إنسها وجنّها وشياطينها ووحوشها وسباعها وأنعامها وهوامها؛ تناثرت نجومُ السماء من فوقهم، وطُمِسَتِ الشمسُ والقمرُ؛ فأظلما عليهم، ومارت سماءُ الدنيا من فوقهم فدارت من فوقهم بعِظَمِها فوق رؤوسهم، وجميع ذلك بعينك وعين أهل الموقف، ينظرون إلى هوله، ثم انشقّت بغلظها فوق رؤوسهم وهي خمسمئة عام، فيا هولَ صوتِ انشقاقها في سمعهم!! وتمزّقت وتفطّرت لهول يوم القيامة من عِظَم يوم الطامّة، ثم ذابت حتى صارت مثل الفضّة

بـــاب

ما جاء في تطاير الصُّحف عند الْعَرْضِ والحساب

وإعطاء الكتب باليمين والشمال، ومَنْ أوَّل من يأخذ كتابه بيمينه من هذه الأمة، وفي كيفية وقوفهم للحساب، وما يقبل منهم من الأعمال، وفي دعائهم بأسماء آبائهم، وبيان قوله تعالى ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ [الإسراء: ٧١] وفي تعظيم خَلْقِ الإنسان الذي يدخل به النار أو الجنان، وذكر القاضي العدل، ومن نُوقش الحساب عُذِّب

قال الترمذي أبو عيسى ـ رحمه الله ـ: يُروى عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: حَاسِبُوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وتزيَّنُوا للعَرْض الأكبر قبل أن تعرضوا، وإنَّما يَخِفُّ الحسابُ على مَنْ حَاسَبَ نَفْسَه في الدنيا[1].

وقال عطاء الخراساني: يُحاسَبُ العبدُ يوم القيامة عند معارفه ليكونَ أشدّ عليه[2] في توبيخه. ذكره أبو نعيم.

البخاري عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالتْ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ حُوسِبَ يوم القيامة عُذِّب» قالت: فقلت يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً ﴾

= (١٨/١): رواه الطبراني في الأوسط والكبير، إلا أنه قال في الكبير: قال رسول الله ﷺ: «إخلاصه أن تحجزه عمَّا حرَّم الله عليه». وفي إسناده محمد بن عبد الرحمن بن غزوان، وهو وضَّاع. (المغني رقم ٥٧٥٥).

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٩) في صفة القيامة، باب: (٢٥).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (١٩٧/٥).

[الانشقاق: ٧ ـ ٨] فقال: «ليس ذلك الحسابُ، إنما ذاك العَرْضُ، مَن نُوقِشَ الحسابُ يوم القيامة عُذِّب»[1] أخرجه مسلم والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

أبو داود الطيالسي قال: حدثنا عمر بن العلاء اليشكري قال: حدثني صالح بن صرح، عن عمران بن حطان قال: سمعت عائشة ـ رضي الله عنها ـ تقول وقد ذكر عندها القضاة، فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فَيَلْقَى من شِدَّة الْحِسَابِ مَا يتمنَّى أنه لم يَقْضِ بين اثنين في تمرة قط»[2].

الترمذي عن الحسن عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُعرضُ النَّاسُ يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، فعند ذلك تطيرُ الصُّحفُ في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله»[3] قال أبو عيسى: ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة رضي الله عنه، وقد رواه بعضهم عن علي بن علي الرفاعي، عن الحسن، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ.

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ: قوله: «وقد رواه بعضهم» هو وكيع بن الجراح، ذكره ابن ماجه قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا وكيع، عن علي بن علي فذكره[4]. قال الترمذي ـ رحمه الله ـ: وتكلّم يحيى بن سعيد القطان في علي بن علي، وخرَّجه أبو بكر البزار أيضاً عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «يُعرض الناسُ يوم القيامة ثلاث

(١) رواه البخاري (١٩٦/١ ـ ١٩٧) في العلم، باب: مَن سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه، ومسلم (٢٨٧٦) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: إثبات الحساب، والترمذي (٣٣٣٧) في تفسير القرآن، باب: ومن سورة ﴿إذا السماء انشقت﴾.

(٢) رواه الطيالسي في مسنده ص (٢١٧).

(٣) رواه الترمذي (٢٤٢٥) في صفة القيامة، باب: ما جاء في العرض.

(٤) رواه ابن ماجه (٤٢٧٧) في الزهد، باب: ذكر البعث.

عرضاتٍ، فأما عرضتان فجدالٌ، وأمَّا الثالثةُ فتطايرُ الكتبِ يميناً وشمالاً»[1].

وذكره الترمذي الحكيم في الأصل السادس والثمانين قال: ورُوي لنا عن رسولِ الله ﷺ: «إنَّ النَّاسَ يُعْرَضُونَ ثلاثَ عرضاتٍ يومَ القيامةِ، فأمَّا عرضتان فجدالٌ ومعاذيرُ، وأما العرضةُ الثالثةُ فتطايرُ الصُّحُفِ»[2].

فالجدالُ للأعداء يجادلون لأنَّهم لا يعرفون ربَّهم، فيظنُّون أنهم إذا جادلوه نجوا وقامت حجّتهم، والمعاذير لله تعالى يعتذر الكريم إلى آدم وإلى أنبيائه ـ عليهم السلام ـ ويقيم حجته عندهم على الأعداء، ثم يبعثهم إلى النار، فإنه يحبّ سبحانه أن يكون عذره عند أنبيائه وأوليائه ظاهراً حتى لا تأخذهم الحيرة، ولذلك قيل عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا أحد أحبُّ إليه المدح من الله، ولا أحد أحب إليه العُذْرُ من الله»[3].

والعرضةُ الثالثة للمؤمنين وهو العرضُ الأكبرُ يخلو بهم سبحانه فيعاتب في تلك الخلوات من يريد أن يعاتبه حتى يذوقَ وبال الحياء، ويرفضّ عرقاً بين يديه، ويفيض العرق منهم على أقدامهم من شدة الحياء، ثم يغفر لهم ويرضى عنهم بكرمه وفضله.

وذكر أبو جعفر العقيلي من حديث يغنم بن سالم، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «الكتبُ كلُّها تحتَ العرش، فإذا كان الموقفُ بعثَ اللهُ ريحاً فتطيّرها بالأيمانِ والشَّمائل، أوَّلُ خطٍّ فيها: ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾ [الإسراء: ١٤][4].

(١) ورواه عبد الله بن المبارك في زوائد الزهد برقم (٣٩٥).
(٢) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» ص (١٢٦ ـ ١٢٧).
(٣) رواه البخاري (١٣/٣٩٩) في التوحيد، باب: قول النبي ﷺ «لا شخص أغير من الله»، ومسلم (٢٧٦٠) في التوبة، باب: غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش، وأحمد في المسند (٤/٢٤٨).
(٤) ذكره العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/٤٦٦)، وفيه يغنم بن سالم بن قيس: منكر الحديث.

أبو داود عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: ذكرتُ النار فبكيتُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «ما يبكيكِ»؟ فقلت: ذكرتُ النارَ فبكيتُ، فهل تذكرون أهليكم يومَ القيامة؟ فقال: «أمّا في ثلاثةِ مواطن فلا يذكرُ أحدٌ أحداً: عند الميزانِ حتى يعلمَ أيَخِفُّ ميزانُه أو يثقل، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره، وعند الصِّراط إذا وُضِعَ بين ظهري جهنم حتى يجوز»[1].

وذكر أبو بكر أحمد بن ثابت الخطيب عن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وله شعاع كشعاع الشمس» فقيل له: فأين يكون أبو بكر يا رسول الله؟ قال: «هيهات زفَّته الملائكة إلى الجنان»[2].

وخرج الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن منده في كتاب «التوحيد» له عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ الله تبارك وتعالى يُنادي يومَ القيامة بصوتٍ رفيعٍ غير فظيعٍ: يا عبادي لا إله إلا أنا أرحمُ الراحمين وأحكمُ الحاكمين وأسرعُ الحاسبين، يا عبادي لا خوفٌ عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، أحضروا حُجَّتكم ويَسِّرُوا جوابَكم، فإنَّكم مسؤولون محاسبون، يا ملائكتي أقيموا عِبَادِيَ صُفوفاً على أطرافِ أناملِ أقدامِهم للحساب»[3].

وأسند عن سمرة بن عطية قال: يُؤتى بالرجل يوم القيامة للحساب وفي صحيفته من الحسنات أمثال الجبال فيقول رب العزة تبارك وتعالى:

(١) رواه أبو داود (٤٧٥٥) في السنة، باب: في ذكر الميزان.
(٢) قال ابن عراق: فيه عمر بن إبراهيم بن خالد الكردي، وهو المتهم به، انظر: «تنزيه الشريعة» (١/٣٤٦) و«اللآلىء المصنوعة» (١/٣٠٢).
(٣) رواه ابنُ منده في التوحيد، والديلمي عن معاذ، كما في «الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية» ص (١٤٩).